رؤية استراتيجية جديدة للآمن في الشرق الاوسط

المدرس الدكتور
سرمد عبد الستار امين
قسم الدراسات الاستراتيجية
مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد

المقدمة

لقد ارتبط مفهوم الشرق الأوسط وبيئته لدى كل المتتبعين وعلى مر الزمن بالتحولات الكبرى في التاريخ حتى قبل ظهور التسمية نفسها، ففي أرضه تشكلت معالم الحضارات الاولى للانسانية ومنها انطلقت تباشير الديانات الرئيسية الثلاث في العالم وهي حسب تسلسلها التاريخي اليهودية والمسيحية والاسلام الحنيف ثم دارت على أرضه رحى حروب التاريخ العظيمة بين امبراطوريات الزمن الغابر من رومية وفارسية وعربية وتحالف غربي لم يسبق له مثيل تحت راية الصليب في حرب تحرير بيت المقدس تلتها همجية بربرية مثلتها أقوام مقاتلة من أواسط آسيا ثم دولة بني عثمان وامبراطوريات الأنكليز والفرنسيين ومن قبلهم الهولنديين والبرتغال والاسبان. كل هؤلاء كان عليهم المرور بأرض الشرق الأوسط وسفح دماء غزيرة في مواجهات حاسمة مع من سبقوهم لاستلاب دورهم في المنطقة ومع من تبعوهم دفاعا عن هذا الدور في وجه القادمين الجدد وهكذا دواليك وصولا لعصر القوة العظمى الأمريكية التي تبحث عن استحقاقات الدور التاريخي المتفرد ولا أدري لم يلومها الآخرون في ذلك وهم قد فعلوها من قبل!

هذا الوعاء الجيوسياسي الذي احتضن على مدى التاريخ المعروف معظم التفاعلات السياسية في ميدانها السلمي مثلما كان ساحتها الرئيسة في تحولها نحو التصادم والصراع المسلح لم يكن سوى مسرحا لتغييرات يفرضها فعل خارجي باستثناء تلك المدة التي شهدت نهضة وسطوة الدولة العربية الاسلامية والتي جعلت التغيير في تلك المرحلة مرتبطا بمتطلبات المنطقة وظروفها وظروف بيئتها المحيطة، عدا ذلك ومثلما قلنا فأن العامل الخارجي كان السبب المباشر والحاسم في التحولات التي طرأت على الواقع السياسي والاقتصادي وعلى جوهر سياسات الأمن لدول المنطقة منفردة ومجتمعة وهذا ماجرد المنطقة من عناصر التحكم بخيارات المستقبل وجعلها ساحة تاريخية لاستعراض الهيمنة وصياغات القوى المهيمنة لمفهوم الأمن فيها بما يتفق ومصالح تلك القوى لا غير فكل ظهور جديد لقوة عظمى جديدة يعني صراعا داخليا شرق أوسطيا لتمثيل حقائق القوة

الجديدة يرافقه وجود مكثف للقوى الجديدة الصاعدة لمراقبة حالة تكيف التغيرات الجديدة مع مصالحها والا فان عنصر الاكراه واستخدام القوة سيكون كفيلا بتحقيق ذلك.

هذا هو جوهر ما يجري الآن في الشرق الأوسط المثقل بمشاكل التغيير ومتطلباته خصوصا على صعيد الأمن فيه. فبلدان المنطقة تسعى الى تلمس السبل الكفيلة لتمثيل صياغات الأمن الجديدة للمنطقة وهي صياغات أمن شامل لا يقف عند حدود القوة العسكرية بل يتعداها الى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية ، وعلى الجانب الآخرتحمل الولايات المتحدة الأمريكية الجزرة في يد والعصا الغليظة في اليد الاخرى وهي تراقب كيف يمتثل الآخرون في المنطقة لمطالب الأمن المفترضة في الشرق الأوسط ومدى النجاح الذي يحرزونه في هذا المجال قبل أن تتولى بنفسها تنفيذ أولوياتها. ولهذا ما يعنيه بالنسبة الى بلدان المنطقة.

ومن هنا فان بحثنا هذا سيسعى الى البرهنة على ماسبق ذكره في اطار فرضية محددة مفادها ان أمن الشرق الأوسط وبالمفهوم الشامل له يشهد تغيرات جذرية ولكنها في نفس الوقت تغيرات قسرية تستجيب لحقائق التوزيع الجديد للقوة في العالم.

وقد توزعت هيكلية البحث على المحاور الأربعة الآتية:

أولا: خصائص شرق أوسطية.

ثانيا: الشرق الأوسط بين مطلبي الاستقرار والتغيير.

ثالثا:آليات المعتمدة في التغيير.

رابعا:الآثار المتوقعة لعملية التغيير الجارية في منطقة الشرق الأوسط.

أولا: خصائص شرق أوسطية:

إن إحدى الخصائص التقليدية لمنطقة الشرق الأوسط تتمثل في ما يسميه شانتال كوادرات "أهميتها الإستراتيجية عابرة الإقليمية"، التى تعود إلى عوامل متعددة، أبرزها احتياطيها الضخم من النفط، وتحكمها فى خطوط ملاحية دولية رئيسية، وتأثيرات الصراع العربى الإسرائيلى وبؤرة الصراع المزمنة فى الخليج على مصالح الأطراف الدولية بها، وقربها الجغرافي من أوروبا[1]، ثم ما بدأت تفرزه من عناصر تهديد لأمن العديد من دول العالم الأخرى، وهى عوامل لم تهتز مع الوقت.

وقد يكون محقا ذلك الذي يضيف بعدا مهما وخطيرا الى ما ذكر في أعلاه وهو الدور الهام للاعبين من خارج المنطقة في تقرير مجريات الأحداث فيها وخياراتها للمستقبل الى

---

[1] نقلا عن د.محمد عبد السلام،مشكلات الوجود العسكري الأمريكي في الشرق الاوسط.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/44F524F4.

الحد الذي يدفع بالبعض الى اعتبار أصحاب هذه الأنوار بمثابة أطراف أساسية في الأقليم سياسيا وجغرافيا، ودلالة ذلك على الأرض يتمثل في[٢]:

- الارتباطات الدفاعية المتطورة والمتجددة باستمرار والتي تربط بين دول المنطقة ومعظم القوى الكبرى في العالم والتي تضمنت في معظم الأحوال تحالفات استراتيجية وتفاهمات نووية كالتي جرت بين الجمهورية العربية السورية والاتحاد السوفيتي سابقا بموجب معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة بين البلدين عام ١٩٨٢ والعديد من التفاهمات الأمنية والاستراتيجية العربية والشرق أوسطية مع الولايات المتحدة الأمريكية.
- وجود قواعد وتسهيلات عسكرية مكثفة لمعظم القوى الكبرى داخل وحول النطاق الجغرافي للمنطقة.
- تواجد وتحركات كثيفة لوحدات عسكرية بحرية تابعة لمعظم الدول الكبرى في المياه التابعة لبلدان الشرق الأوسط.

ورغم ما طرحه البعض من أن نهاية الحرب الباردة قد قلصت من الأهمية الإستراتيجية للإقليم نظرا لما كان ينتظره العالم بعد انتهاء الحرب الباردة من عصر جديد يسوده السلام والامن وتتقلص فيه فرص الحروب والمنازعات الدولية خصوصا في مناطق التوتر والأزمات الدائمة كمنطقة الشرق الأوسط الا ان ذلك لم يكن سوى وهما أغفل حقائق استراتيجية أكدتها الممارسة والتجربة ومنها:

١: أن نهاية الحرب الباردة وانهيار قطب الموازنة الثاني في العالم قد فتح الباب واسعا أمام ولوج عصر البناء الامبريالي للنظام الدولي ومن شأن ذلك أن يمنح القوة العظمى الوحيدة في العالم فرص لا يمكن اهمالها للتمدد مكانيا في صور رهيبة من الاختراق الجيوبولتيكي لأعقد مناطق الصراع العالمي التي لم يكن ممكنا الوصول اليها أيام التوازن السابق واختراق مماثل لمعاقل الاقتصادات الدولية والاقليمية ومناطق الثروة العالمية في عملية تاريخية لضمان استحقاقات القوة العظمى المهيمنة وتأكيدا لدورها المعاصر وتعبيرا عن حقائق القوة التي بحوزتها[٣].

ومن الطبيعي أن يكون الشرق الأوسط بمزاياه التي ذكرت آنفا في مقدمة مناطق الصراع المهمة بل انه وفي أهميته للقوة العظمى على وجه التحديد وبمنطق ماكندري بحت سيمكن من يسيطر عليه من السيطرة على جزيرة العالم ومن يسيطر على جزيرة

---

[٢] المصدر نفسه.

[٣] د.سرمد أمين،الحملة الدولية لمكافحة الارهاب-الاهداف المعلنة والمصالح الحقيقية،مجلة دراسات دولية،العدد ٢٠/حزيران،٢٠٠٣،ص٦٠.

العالم يسيطر على العالم كله بعد أن تم الحاق البر الاوراسي (أوروبا الشرقية وجمهوريات القفقاس الى منظومة الامن الاطلسية)[٤].

٢: من جانب أخر فان من المؤكد تماما ان استراتيجيات القوى العظمى هي ليست كغيرها بل هي أكثر ثباتا واستقرارية خصوصا في مضامينها وغاياتها النهائية وان ما يتغير منها هو المدى الممكن تحقيقه منها والكيفية التي يتم بها تحقيق الغايات والاهداف في اطار المرحلة التاريخية التي يمر بها النظام الدولي ومسميات ومداخل الحركة المطلوبة، وقد جاء هذا الاستقرار نتيجة الخبرة الطويلة التي تمتعت بها هذه القوى في ادارة الشؤون الدولية لأكثر من خمسة قرون ماضية وما أتاحه ذلك من فرص اختبار المصالح وموقعها في سلم الأولويات وتحديد ماهو آني وتكتيكي منها وما هو مصلحة استراتيجية لا تلعب عوامل الزمن ومتغيرات النظام الدولي سوى دورا ايجابيا في تأكيدها[٥].

٣:وقد يكون مفيدا القول بأن هناك من ينظر الى مسألة الاهمية المتزايدة التي يحظى بها الشرق الاوسط في الحسابات الاستراتيجية للغرب والولايات المتحدة الامريكية من زاوية أكثر تعقيدا من سابقاتها خصوصا عندما يتعلق الأمر بالجوانب الدينية واسقاطاتها على الانسان والمجتمع وبالمعطيات الاخلاقية والسلوكية والفكرية وانعكاساتها على نمط البناء الكلي للامن في الاقليم والعالم أجمع.

فالدكتور برهان غليون يؤكد على اشكالية النظرة التي يكنها اليمين المسيحي الأمريكي والأوروبي ونظيره الاسرائيلي لمضمون الديانة الاسلامية وممثليها باعتبار الاسلام منظومة فكرية متعارضة مع الديموقراطية والتقدم واحترام حقوق الانسان الأمر الذي يستفز نزعة مضادة في البلاد التي تعتنق الاسلام ويهدد بالمواجهة بين الطرفين في نهاية المطاف خصوصا عندما يعتقد الغرب بمسؤوليته التاريخية في نشر القيم الجديدة للنظام العالمي الجديد واستخدام القوة في مواجهة من يرفض الايمان برسالته التي يحملها[٦].

في حين يذهب توماس بارنيت الى زاوية أكثر تطرفا حينما يقسم العالم الى قسمين،الأول هو مجموعة الدول المتماسكة والمتواصلة في الثقافة والاقتصاد والتي تشارك الولايات المتحدة الامريكية رؤاها ونظرتها،والثاني هو مجموعة دول (الفجوة)

---

(٤) في منطلقات النظرية وتفصيلاتها انظر:
- د.كاظم هاشم نعمة،الوجيز في الاستراتيجية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، بغداد، ١٩٨٨، ص-ص٤٤-٤٨.
- د.عبد القادر محمد فهمي، المدخل الى دراسة الاستراتيجية، جامعة بغداد،كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠٠٥، ص-ص٨٦-٩٢.

(٥) د.سرمد أمين،مصدر سبق ذكره،ص-ص٥٩-٦٠.

(٦) د.برهان غليون،مصير السيطرة الأمريكية العالمية.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/AE3D3DBC4C1-44AA-8704-F7D82AAC.

التي ترفض التحولات التي تجري في العالم خصوصا على المستوى الاقتصادي مشيرا وبكل صراحة الى العولمة وأذرعها الطويلة المتمثلة بالشركات العابرة للقومية وبالاستثمارات الاجنبية وأخيرا الذراع العسكرية التي يجب أن تتحرك في حالة تعويق عمل العولمة في دول الفجوة، ويؤكد بارنيت على أن لا علاقة للموضوع بالامبريالية أو بالتضاد الديني بين العالمين وأنما بالتهديدات التي يتعرض لها العالم المتماسك من قبل العدو النهائي الذي يمثله رفض الانخراط في النظام،مطالبا الولايات المتحدة الامريكية بشن الحرب على هذا العدو دون هوادة[٧].

ومن هنا فقط يمكن فهم أسباب احتفاظ منطقة الشرق الأوسط بأهميتها في الحسابات الاستراتيجية للدول الكبرى عموما وللقوة العظمى الأمريكية خصوصا بل أنها أصبحت أكثر أهمية من ذي قبل بعد أن انتقل اليها مركز ثقل الصراع العالمي في مباديئه المختلفة ولم يتغير في الموضوع سوى الحاجة الى مسميات جديدة للعمل الاستراتيجي والى أدوات تنفيذ جديدة بعد ان استنفذت المسميات السابقة للحركة ومنها تطويق امبراطورية الشر الشيوعية والدفاع عن مصالح العالم الحر وأصدقائه في المنطقة استنفذت الأغراض التي وجدت من أجلها وبعد أن لم يعد بمقدور الأدوات السابقة النهوض بأعباء المرحلة خصوصا وانها صممت لتتسق مع ظروف و متطلبات داخلية واقليمية ودولية يعد لها وجود.

ومرة أخرى لا يعدم الغرب بخبرته الطويلة وتجاربه الوسيلة لايجاد المسميات وتحديد الأدوات اللازمة لتحقيق الغايات التي يتطلع الغرب الى تحقيقها في شرق مختلف عنه تماما ولم يتوقف قط عن التفكير في احتوائه وتوظيفه ضمن عناصر قدرته، فماذا كانت البدائل.

ثانيا: الشرق الأوسط بين مطلبي الاستقرار والتغيير:

كانت الولايات المتحدة الأميركية تعتمد للحفاظ على مصالحها الكبرى في الشرق الأوسط على إستراتيجية تقليدية لم تتغير منذ الحرب العالمية الثانية كثيرا بالرغم من التعديلات العميقة التي طرأت عليها بسبب ما أصابها من نكسات. وكان هدف هذه الإستراتيجية الرئيسي هو الحفاظ على الوضع القائم، بما يعنيه ذلك من الحيلولة ما أمكن دون حصول تغييرات ذات مغزى داخل كل قُطر وعلى المستوى الإقليمي.

---

(٧) أنظر:توماس.ب.م.بارنيت،خارطة البنتاغون الجديدة-الحرب والسلام في القرن الحادي والعشرين.
http://www,ala7rar.net/navigator,php

كما كانت خيارات الاستراتيجية الأمريكية مرتبطة بتحقيق هذا الهدف. وكان ذلك يعني[٨]:

١: الحيلولة دون أي تغيير سياسي داخل البلدان العربية والشرق أوسطية، وبالتالي تبني موقف أو مبدأ الدعم الكامل وغير المشروط لجميع النظم قائمة مهما كانت طبيعتها وأساليب الحكم التي تتبعها وأساليب معاملتها لمواطنيها طالما لم تتعرض مصالح الولايات المتحدة لأي خطر أو مس وخشية أن يؤدي الضغط المباشر عليها الى وقوعها في حضن العملاق السوفيتي بحثا عن الدعم الخارجي الذي تطمئن اليه.

بل أن الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية قد نجح الى حد بعيد في استثمار واجهات عربية واسلامية كبيرة في المنطقة لخدمة متطلبات صراعه مع خصمه السوفيتي اللدود فكان التعاطي الايجابي مع صعود المد القومي فرصة لمواجهة المد الشيوعي للمنطقة وكذلك تم تعبئة المد الاسلامي لتشكيل جبهة عريضة ومتينة من المقاومة الاسلامية في أفغانستان ضد الروس هناك[٩].

٢: احتواء الانظمة الراديكالية أو غير المنسجمة مع الرؤية الامريكية لواقع ومستقبل المنطقة من خلال تطبيق سياسات الترغيب والترهيب أو بث الفرقة والصراعات البينية التي تعوق فرص التقاء خصومها عند نقاط مشتركة كما حصل بين الناصرية والبعثية وبين القوميين والاخوانيين أو بالتقرب من نظمها الحاكمة وتطمينها على وجودها واستمرارها في السلطة.

٣:منع أي تغيير جيوسياسي يؤثر في معادلات القوة الإقليمية، وبالتالي الوقوف بحزم ضد جميع حركات التغيير الوطنية والقومية العربية التي عصفت بالمنطقة العربية خلال الخمسينيات والستينيات والقضاء عليها وعلى الأفكار التي تبثها أو تعيش عليها.

٤:الحفاظ (بالنسبة الى الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص) في مسألة الصراع العربي الإسرائيلي الطويل على تفوق إسرائيل كمصلحة أميركية عليا ودعمها ضد أي قوة عربية معادية أو صديقة تفكر في إضعافها أو فرض تنازلات عليها.
وقد أجرت الولايات المتحدة الامريكية في أعقاب الحرب الباردة وانفرادها بميزان القوة العالمية مراجعة شاملة لاستراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط ووجدت أن من غير

---

[٨] د.برهان غليون،السياسة الأمريكية الجديدة في الشرق الاوسط.
.http://www.aljazeera.net/NR/exeres/6848F1AD.7848
[٩] المصدر نفسه.

الضروري الحفاظ على الوضع القائم في المنطقة كنظم وكبنية تحتية للامن والاقتصاد والمجتمع.

فالنظم السياسية في المنطقة قد تقادمت وتهرأت حتى أصبحت عبئاً على شعوبها وعلى داعميها أيضا، خصوصا وأنها نظم تقليدية قاومت الاصلاح لسنوات طويلة وخلقت بممارستها السياسية والاقتصادية المنفلتة من كل ضابط فكري أو منهجي واقعا من البؤس والفقر والتخلف وحكم الاستبداد في مجتمعاتها على نحو لا يمكن الدفاع عنه في ظل شعارات النظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وتبشر به ثم أنها قد خدمت في ظل مرحلة مضت من عمر النظام الدولي لم تعد قائمة وليس لها وظائف يمكن تأديتها في الحاضر وليس بالتأكيد في المستقبل.

وبحكم سنوات التخبط والصراعات الطويلة التي خاضتها نظم وحكومات المنطقة فيما بينها والتي لعب الغرب دوره المميز في اذكائها فقد قفز هاجس الأمن والتسلح الى قمة أولويات هذه البلدان واستثمر الغرب بذكائه المعهود هذه الهواجس ليجعل من بلدان هذه المنطقة مخازن كبيرة لأسلحته وذخائره التقليدية منها وفوق التقليدية وتم انفاق مبالغ طائلة في هذا الباب لتمويل التسلح ونفقات الصراع (انظر الجدول الملحق بالبحث) ثم عاد اليوم ليحاسبهم على مخزونهم منها لما يشكله من تهديد لأمن المنطقة والعالم وليستثمر أيضا واقع اليأس والمرارة التي بانت شعوب هذه المنطقة تستشعرها من اهمال مصالحها تحت شعارات التهديد والمواجهات المستمرة مع الآخرين ،عاد اليوم ليستخدمها كأعتى سلاح لتجريد هذه الحكومات من رصيد التأييد الداخلي لبقائها واستمرارها حتى لو كان الثمن فقدان الاستقلال والسيادة.

لقد كانت نتيجة هذه المراجعة تحديد اولويات جديدة للعمل في المنطقة تتجسد في قيادة عملية تاريخية للتغيير الشامل في المنطقة عبر مداخل فكرية واجتماعية واقتصادية وبمخارج سياسية وأمنية ستترشح عنها وفقا لجدلية العلاقة التبادلية بين الطرفين،وترتكز هذه العملية على مقومات أساسية يمكن اجمالها في الآتي[١٠]:

- الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل وحظر وصولها الى يد دول أو منظمات أو مجموعات مارقة ترعى الارهاب لتعزيز فرص الأمن والسلام في العالم.
- مكافحة الارهاب على مساحة العالم والتصدي لدوافعه التي تتشكل لدى الغرب والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص في الاصولية الدينية الاسلامية التي أسهمت هي في تقويتها ودعمها في وقت الحاجة اليها أيام ما كان يعرف بالجهاد ضد الوجود السوفيتي في أفغانستان، وقد كانت أحداث ١١/ سبتمبر ٢٠٠٣ التي دهمت الولايات المتحدة الأمركية في عقر دارها على يد عناصر شرق أوسطية تنتمي في غالبيتها الى دول حليفة تقليديا لها نقطة الشروع في حملة

---

[١٠] المصدر نفسه.

مكافحة الارهاب التي جعلت نهاياتها منفتحة مكانيا وزمانيا،بل أن هناك ومن داخل دائرة صنع القرار الأمريكي من يعتبر أحداث الحادي عشر من أيلول بمثابة الهدية التي جادت بها السماء على الولايات المتحدة الأمريكية لتتولى بنفسها قيادة الحملة الواسعة للتغيير في منطقة الشرق الأوسط باسم التصدي للارهاب الذي يتهدد العالم والقادم من بؤرة التطرف والعنف في بلدان الفجوة،كما يطيب لتوماس بارنيت كبير منظري البنتاغون الأمريكي تسميتها[١١].

- تغيير النظم السياسية القائمة طوعا أو قسرا تمهيدا لولادة نظم جديدة أكثر حداثة وديمقراطية (على المستوى السياسي) وأكثر ليبرالية (على المستوى الاقتصادي) وأشد انتماء (على المستوى الفكري) لحضارة العصر وبالتأكيد أكثر تمثيلا لمصالح القوة العظمى في مرحلتها الحالية.
- العمل على استثمار فرص الهيمنة على القرار السياسي الدولي وعلى مفاتيح الأمن في العالم والمنطقة خصوصا لتسوية الصراع العربي الاسرائيلي سلميا، ومن الطبيعي أن يجري ذلك وفقا لرؤية ومصلحة من يملك أوراق الحل بيده.

وبداهة نجد أن المحاور الأربعة للحركة تتداخل مع بعضها بشكل وثيق لتعطي نتيجة واحدة قلنا عنها أنها تشكل الجوهر والمضمون الذي لم يتغير في استراتيجية الغرب والولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة وهي استثمار وتوظيف مزاياها الكامنة في موقعها الجيوبولتيكي المتفرد وتوسطها القارات الثلاث ووجود خزاني النفط الرئيسيين في بحر قزوين والخليج العربي في قلب المنطقة فضلا عن البعد التاريخي والحضاري للمنطقة وشعوبها والذي يشكل معظم تاريخ الانسانية في الماضي والحاضر.

فمطلب الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل لدول المنطقة يعني تجريدها من عنصر قوة قد يخرج المنطقة من نطاق التبعية من ناحية ويهدد وجود الكيان الاسرائيلي الذي يراد له أن يتفوق على مجمل القوة المضادة له عربيا أوشرق أوسطيا من ناحية ثانية.

فضلا عن ان استراتيجية مكافحة الارهاب سوف تتيح من الناحية العملية مساحة زمنية ومكانية واسعة فضلا عن الاساس الاخلاقي لضرب المخالفين والمتمردين على الامتثال لمطلب الخضوع لسياسات الحاضر واستبدالهم بنظم داجنة جديدة تتوفر فيها شروط تمثيل المصالح العظمى في مرحلتها الحالية.

ومن شان نظم بديلة مصطنعة ومجردة من القوة ومهددة بالعقاب في كل لحظة ومنسجمة على الصعيد الاقتصادي مع دورها كأطراف تابعة لمركز القيادة الاسرائيلي الاكثر تقدما في هذا المجال ،من شأنها أن تسهم بفاعلية كبيرة في مشروع التسوية السلمية لقضية الصراع العربي الاسرائيلي بالصيغة التي أشرنا اليها سابقا.

---

(١١) في الأهمية الاستثنائية التي انطوت عليها عملية الهجوم على الولايات المتحدة الامريكية في ١١/أيلول/٢٠٠٣ كمبرر شرعي واستراتيجي لمباشرة حملة واسعة للتغيير خصوصا في مناطق الاستبداد والنكوص الحضاري كمنطقة الشرق الاوسط، انظر،توماس بارنيت، مصدر سبق ذكره.

وقد سبق كل ذلك عملية تمهيدية كبرى على مستوى الأفكار والنخب السياسية والبناء الاقتصادي في المنطقة لتهيأة الأرضية المناسبة لاستيعاب التحول السياسي والأمني القادم،فلقد احتدم الصراع بين الليبراليين والعلمانيين وأصحاب المشروع القومي والاسلامي للسلطة باعتباره الرد المناسب لأزمة الوجود التي تعانيها دول المنطقة ولعب الكبار دورهم في تثوير الخلاف بين الطرفين ورسم حدود فاصلة بينهما مع دعم مفتوح للطرف الأول تحت شعار الدمقرطة واللبرلة التي يجب على المنطقة أن تجربها لمواكبة العصر يقابل ذلك حملة عالمية كبرى لتضيق الخناق على الاتجاه الثاني ووضعه في مأزق حقيقي للدفاع عن الوجود ولو بالقوة ،وهذا هو المطلوب تحديدا لانتزاع مشروعية استخدام القوة الكاسحة المقابلة تحت شعار محاربة التطرف والارهاب.

وعلى مستوى النخب السياسية لم يعد الغرب يتقبل فكرة التعامل مع نخب تقليدية قومية كانت أو يسارية أو اسلامية لا يوجد بينه وبينها لغة مشتركة فلا بد اذن من نخب بديلة تشكل قاعدة النظم السياسية المرتقبة ومعينها الذي تستند اليه.

وفي المجال الاقتصادي فقد تكفلت العولمة باخضاع اقتصادات المنطقة لمحدداتها بعد أن تبين واضحا تبلور دور المراكز الاقتصادية في التخطيط لمستقبل صيرورة الاقتصاد العالمي بكليته عبر أدوات قاهرة اصطلح على تسميتها بأعمدة ادارة الاقتصاد العالمي الجديد التي تمثلها ثلاثية مؤسسات بريتون وودز(صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للاعمار والتنمية) والشركات العابرة للقومية ومنظمة التجارة العالمية[١٢].

---

[١٢] لقد بدا واضحا تماما ومع تدشين ثورة المعلومات والتكنولوجيات الحديثة بأن القدرات النووية والادوات العسكرية الآخرى لم تعد عاملا مرجحا في تفعيل الدور الاقليمي والدولي، بل حلت محلها عناصر أكثر حداثة تنتمي الى البعد الجيو اقتصادي GEO-ECONOMIC في العلاقات الدولية ومن هنا برزت الحاجة الى آليات جديدة لادارة هذا النوع من العلاقات التي تستهدف بالدرجة الأساس اعادة هيكلة الاقتصاد الدولي برمته بحيث يصار الى توحيد حركة الاقتصادات الدولية لتشكل جزءا من حركة الرأسمالية العالمية وتحت قيادتها.ولم يكن عسيرا مع التخطيط المستمر لعولمة الاقتصاد العالمي أن تصبح مؤسسات بريتون وودز ومنظمة التجارة العالمية والشركات العابرة للقومية علامات فارقة في ادارة حركة الاقتصاد العالمي الجديد بما تمتلكه من قدرات مالية وتكنولوجيه لا تجارى ولا يمكن الاستغناء عنها من جانب أي اقتصاد يسعى الى النمو، خصوصا وانها تمتلك عناصر هذا النمو والمتمثلة برأس المال والتكنولوجيات الحديثة والخبرة المتراكمة في التخطيط والقدرة على التنفيذ، بل انها تحتكر ملكية هذه العناصر دون منازع وعمدت الى تأطير هذا الاحتكار قانونيا كما هو الحال في ظوابط العمل بموجب محددات منظمة التجارة العالمية على سبيل المثال.
لمزيد من التفاصيل حول دور هذه المؤسسات انظر.

- سرمد عبد الستار امين، التغيير التكنولوجي واشكاليات التنافس على المستوى الدولي_دراسة مستقبلية-رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية العلوم السياسية،جامعة صدام، ٢٠٠٠.
- حنان دويدار، الولايات المتحدة الامريكية والمؤسسات المالية الدولية ، مجلة السياسة الدولية،العدد١٢٧،يناير،١٩٩٧.
- محمد الفنيش، دور صندوق النقد الدولي،مجلة المنتدى،العدد١٥٦،عمان.١٩٩٨.

وهنا تتداخل آليات الحركة السياسية والاقتصادية والفكرية مع بعضها دون تعارض لتخلق واقعا استراتيجيا جديدا للمنطقة كان رئيس الوزراء الاسرائيلي الأسبق شيمون بيريز قد تخيله في كتابه الشهير الشرق الأوسط الجديد

ثالثا: الآليات المعتمدة في التغيير:

لقد توزعت الجهود لتحقيق المطالب أعلاه على المستويين السياسي والامني لتشكل كلا متماسكا في أجزائه.

فعلى المستوى السياسي تركز الجهد الغربي والأمريكي على المعطيات الآتية:

١. خلق أزمات متتالية في دول المنطقة تشكل مساحات مناسبة للتدخل الخارجي بعد أن يتم تهيئة قوى المعارضة لتؤدي دورها في التغيير المطلوب في محيط مسرح دولي تم تهيئته هو الآخر للوصول الى نفس النتيجة.
٢. اقحام الامم المتحدة في أدوات تنفيذ مشاريع التغيير لاضفاء الشرعية الدولية على العملية برمتها.
٣. استعادة الدور الأوروبي وبشكل خاص الدور الفرنسي والألماني للمحافظة على وحدة ومتانة حلف الناتو الذي ذهب البعض الى التبشير بافول دوره وألحاقه بغريمه السابق حلف وارسو أولا،ويعطي انطباعا بأن التغيير الجاري هو محط توافق وتفاهم مشترك بين بلدان الديموقراطية الرئيسية في العالم والتي تشعر بمسئوليتها التاريخية في توسيع نطاقها عالميا ثانيا، ويتيح للولايات المتحدة الأمريكية في المطاف الأخير أن تستثمر قدرات هذه البلدان الاقتصادية لتحمل جزأ مهما من تكاليف التغيير الذي تقوم به في المنطقة في حالة امتناعها عن المشاركة في الجهد العسكري المباشر(١٣).

وعلى المستوى الأمني كان المنهج الامريكي قد اختار المسالك الأتية:

١. التحول من مجرد الحصول على التسهيلات واتفاقيات المرور والتمارين المشتركة الى بناء القواعد العسكرية داخل المنطقة وفي محيطها لتكون أساس الجهد الحربي

- س.ج.أنجاريا، جولة جديدة من المفاوضات التجارية العالمية،مجلة التمويل والتنمية، يونيو/ حزيران / ١٩٨٨.

وفي الضرورات القصوى لدمج منطقة الشرق الاوسط في المنظومة العالمية للعولمة الاقتصادية حتى لو تطلب الامر الاستخدام الفعلي للقوة العسكرية ووفقا لما بات يعرف بعسكرة العولمةأنظر:

-المصدر السابق.

-Saskia saseen, losing control, sovereignty in an age of globalization, New York, Colombia university prees,1996, p-p130-136.

-محمد الحماد،العرب وقطار العولمة السريع،مجلة المنتدى،العدد١٥٦ أيلول،عمان،١٩٩٨،ص١٦.

(١٣) حول الدور الأوروبي في عملية التغيير في الشرق الاوسط أنظر،أنتوني كوردسمان،الشرق الاوسط الأكبر-المهمات الأمريكية سنة ٢٠٠٤-دراسة صدرت عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في واشنطن ونشرتها صحيفة النهار اللبنانية بعددها الصادر في٢٠٠٤/١/٢٥.

الواسع الذي يفترض أن تحتاجه مهمة التغيير في مواجهة من يتمرد على الطاعة[١٤]. وتكشف الجداول الملحقة بالبحث والتي تبين خارطة الانتشار العسكري الأمريكي- الأطلسي داخل منطقة الشرق الأوسط وفي محيطها للفترة التي سبقت حرب احتلال العراق عام ٢٠٠٣ حجم التحول في الاعتماد الأمريكي على القواعد الدائمة في المنطقة كبديل مفضل على التسهيلات، ومن الطبيعي يكون الأمر أكثر وضوحا بعد احتلال العراق.

٢. توجيه الضربات الجراحية لتعويق قدرات الخصوم خصوصا في مجال مشاريع أسلحة الدمار الشامل وقواعد الصواريخ بعيدة المدى ومحطات المراقبة الرادارية ومراكز القيادة والسيطرة.

٣. التدخل العسكري المباشر في بلدان التمرد على القواعد الجديدة لأمن المنطقة لتحقيق التغيير بالقوة وكانت البداية في أفغانستان عام ٢٠٠١ ولم تمض سوى سنتين حتى كانت تجربة التغيير الثانية وبالقوة في العراق عام ٢٠٠٣ وقد يكون الحديث عن تجارب اخرى للتغير بالقوة ازاء أطراف اخرى في المنطقة معقولا جدا خصوصا مع التصعيد الكبير في المواجهة مع سوريا وايران في الأيام الأخيرة.

وفي الحقيقة لم يكن التغيير في أفغانستان والعراق بعيدا عن الأطار المعد سلفا لاستراتيجية الامن في المنطقة برمتها ومحطات مهمة في سيناريو قد تكتمل فصوله في غضون سنوات قليلة قادمة.

فالتدخل العسكري في أفغانستان جاء لاحقا على التوغل الأمريكي في منطقة آسيا الوسطى ولحمايته في الأصل مستقبلا عبر تواجد مباشر ومكثف في أفغانستان كقاعدة اسناد خلفية من ناحية ولقطع الطريق أمام أي تأثير للنموذج الايراني على الجمهوريات الجديدة عبر الوقوف في منطقة الفصل بين الفريقين من ناحية ثانية وفتح جبهة جديدة للتماس المباشر مع ايران في حال قررت اللجوء الى خيار القوة لتحقيق التغيير فيها مستقبلا من ناحية ثالثة ولقطع الطريق على روسيا الجديدة التي تشبثت بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ بمساعي الهيمنة على العقد المنفرط والحيلولة دون تحول استقلال الجمهوريات السوفيتية السابقة الى استقلال حقيقي يجعل كل منها صاحبة قرار حر في علاقاتها الدولية بما يمكن فتح الباب أمام الاختراق العسكري الغربي للمنطقة وكانت حجج موسكو في هذا الاتجاه تتلخص في[١٥]:

- حماية الأمن القومي الروسي.

---

(١٤) د.محمد عبد السلام. مصدر سبق ذكره.

(١٥) شعبان عبد الرحمن، القواعد الأمريكية وسياسة الزحف الهادئ لاحتواء روسيا.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/OBB7FEAF-6BB9-4A28-AF77-4037E18BBD.

- الصراعات الاثنية في دول الجوار القريب وخطورة امتدادها الى داخل روسيا.
- الدفاع عن مصالح الاقليات الروسية داخل الدول المذكورة.

وباستكمال الصورة الاستراتيجية على المستوى الكلي تكون الولايات المتحدة الأمريكية باحتلالها لأفغانستان قد حققت انتشارا حقيقيا على الجزء الاوراسي من مساحة جزيرة العالم التي تحدث عنها هالفورد ماكندر (بعد ان اكتملت فصول التحاق اوروبا الشرقية بالناتو) ولم يتبقى سوى ايران للوصول الى سواحلها على المياه الدافئة في الخليج.

ولا يخرج احتلال العراق هو الآخر عن منظور متطلبات استراتيجية أمن المنطقة والتي تكفلت سنوات الحرب الباردة بتأجيل تحقيقها لسنوات طويلة، وهذه المتطلبات تتجسد في الجوانب الآتية:

- وصل الانقطاع الحاصل في انتشار قوات حلف الناتو في الجزء الممتد بين تركيا شمالا والخليج العربي جنوبا، وهو انقطاع على مساحة ثلاث دول في محور الشر هي ايران والعراق وسوريا ويمثل العراق في المنطقة الممتدة بين زاخو في أقصى الشمال وأم قصر في أقصى جنوبه أقصر نقطه في مساحة الانقطاع هذه ومن ثم فان التواجد المباشر سيعطي للولايات المتحدة وحلفائها ميزة تكامل انتشار قواتها على مساحة الشرق الاوسط دون انقطاع.
- عزل جناحي محور الشرق أو الدول المارقة التي تمثلها كل من سوريا وايران عن بعضهما وحرمانهما من منطقة وسطى للعمل المشترك في حالة مواجهة التهديد والتي يمثلها العراق قبل الاحتلال.

ثالثا: وبحكم توسط العراق لمنطقة التغيير المفترضة فان ذلك يمنح الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها حرية حركة دائرية(٣٦٠درجة) وفي كل الاتجاهات وسيعفيها الموقع الجديد من مغبة مطالبة الحلفاء والأصدقاء بتقديم تسهيلات لوجستية ودعم سوقي لقواتها في حركتها المقبلة لاحداث تغيير قسري آخر مماثل لذلك الذي حصل في العراق لأنها أصبحت قوة تعمل من داخل المنطقة وليس من خارجها وربما يكون المحيط العراقي قد فهم فعلا حكم الجيرة الجيوسياسية الجديدة فتحرك لاغلاق دائرة الفعل الاستراتيجي على أصحابها قبل انفتاحها عليهم ولكن يبدو ان فعل الكبار أكبر من قدرة الأطراف الاقليمية على المجاراة فيه ومن هنا نفهم مغزى الأزمة اللبنانية التي حولت سوريا من طرف يستنزف القوة الأمريكية على الساحة العراقية الى طرف يدفع عن نفسه ضغط زمن يتسارع وأزمات متلاحقة تجعله ضحية اخرى لمصالح الدول الكبرى في المنطقة وكذلك نستطيع أن نفهم التشدد الأمريكي ولعبة الوسيط الغربي في ملف طهران النووي والتي تقود بالنتيجة الى مشاغلة ايران لأطول فترة ممكنة وثنيها عن مباشرة مشروعها النووي حتى يتم التفرغ لها تماما بعد حسم ملفي العراق وسوريا وعدم التسرع في استعدائها لما تملكه من تأثير حقيقي على كلتا الساحتين.

وليس من شك ان النفط ومنابعه في العراق شكلت الهدف الكبير الذي تخفت وراءه كل الأسباب والدوافع المعلنة للحرب على العراق ولنتذكر هنا حجم الاحتياطيات النفطية للولايات المتحدة الأمريكية التي بلغت مع مطلع القرن الجديد بحدود ٢٢ مليار برميل لا غير وهذا يشكل ٢% فقط من مجمل الاحتياطي العالمي من النفط، وهذه النسبة هي في حالة تناقص مطرد رغم امتلاكها أحدث الأساليب والمعدات التكنولوجية وتوافر القدرات الاستثمارية لديها الأمر الذي يحول الولايات المتحدة الأمريكية الى أكبر المستوردين للنفط في العالم بعد عشرين عاما من الان وبواقع استيراد ٢ من كل ثلاثة براميل منتجة عالميا بسبب التوقعات التي تشير الى ارتفاع مخيف في معدلات استهلاك النفط فيها للفترة المذكورة بنسبة تزيد عن ٥٠% على معدلات الاستهلاك الحالية وهذا يعني بلغة البراميل من ٢٤،٤ الى ٣٧،١ مليون برميل يوميا[١٦] وبسبب من محدودية قدرات المنتجين في الخليج العربي على تلبية هذه الحاجة المتصاعدة للنفط في العالم عموما وفي الولايات المتحدة الامريكية خصوصا لم يكن هناك بديل مضمون للاطمئنان سوى في اعادة أكبر الاحتياطيات النفطية في المنطقة والتي يمتلكها كل من العراق وايران والتي لا تزال خارج متناول يدها الى حيز السيطرة المباشرة دون تأخير.خصوصا وان هناك اتفاقا في الآراء المتخصصة على حقيقة امتلاك العراق لأكبر خزين من النفط في العالم حيث يبلغ حجم الاحتياطيات المثبتة وفق الأرقام الرسمية الأخيرة لوزارة النفط العراقية والمعتمدة من قبل معظم المراجع النفطية المختصة عالميا ما مقداره ١١٢ مليار برميل، أما حجم الاحتياطيات المحتملة فهناك تباين في في تخمينها الا أن الرقم يزيد في كل الأحوال عن ٢٠٠ مليار برميل يمكن تحويل جزء أساسي منه لا يقل عن ٥٠% الى احتياطيات مثبتة[١٧].

هذا الى جانب أن هناك مناطق واسعة في العراق كالصحراء الغربية لم تجر لها أي عملية استكشاف في السابق بالاضافة الى التطوير المحدود للحقول المكتشفة في شمال غرب العراق، وبشكل عام يقدر المختصون حجم الاحتياطي الثابت الذي يمكن استخراجه من الحقول المكتشفة حتى الآن والبالغة ٧٣ حقلا أكثر من ١٤٠ مليار برميل وفقا لما هو

---

(١٦) في دور النفط كعامل مهم في صياغة الاستراتيجيةالجديدة للتغيير في المنطقة أنظر:
-النفط والحرب الأنكلو-أمريكية على العراق،كراسات استراتيجية،مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية،السنة الرابعة عشر،العدد١٣٧،آذار،٢٠٠٤،ص-ص٧-٢٠.
-سحر بعاصيري،خطة بوش للطاقة،نشرتها صحيفة النهار اللبنانية بعددها الصادر في٣١/آذار/٢٠٠٢.
-أنتوني كوردسمان،مصدر سبق ذكره.علما ان كوردسمان لا يتفق مع من يعتبر ان قضية النفط تسهم في تحديد استراتيجيات المرحلة بل يعتبرها مجرد سلعة معروضة للبيع والشراء والتداول التجاري.

(١٧) عصام الجلبي، صناعة النفط والسياسة النفطية في العراق،في كتاب برنامج لمستقبل العراق بعد اهاء الاحتلال،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٥،ص١٢٤.

متوافر من احصاءات ومعلومات ومعايير عالمية في حين يقدر حجم الاحتياطيات المحتملة في ما بين ٢٨٠-٣٦٠ مليار برميل[١٨].

وهنا فقط يمكن فهم عمق وبعد مدى التخطيط الذي تم تدبيره للتغيير في المنطقة حينما وضع هذين البلدين في قمة قائمة الدول المارقة والراعية للارهاب وتسميتهما أعضاء أساسيين في محور الشر المطلوب القضاء عليه.

وهنا فقط أيضا يمكن فهم لماذا تم اختيار أفغانستان لتكون مسرحا أبتدائيا لمحاربة الارهاب في العالم، ذلك لأنها ستكون المعبر البديل لنفط القفقاس الى الخليج العربي بدلا من شبكة الربط القديمة التي بناها الروس عبر أراضيهم، وكذلك الحال بالنسبة الى سوريا التي لا يمكن الاطمئنان الى مرور أنابيب (النفط الأمريكي) في العراق عبر أراضيها باتجاه موانئها على البحر المتوسط وهي على حالها كدولة معادية ولا زالت في حالة حرب مع اسرئيل الحليف الذي لا غنى عنه للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة.

ان ما يجري اليوم هو في حقيقة الأمر عملية كبرى لاعادة رسم خارطة المنطقة سياسيا وامنيا للتكامل مع المصالح الاستراتيجية للأطراف الخارجية التي تقف الولايات المتحدة الأمريكية في مقدمتها بعد أن جرى التمهيد لذلك اقتصاديا عبر مدخل العولمة الذي جرد بلدان المنطقة من قرارها الاقتصادي المستقل وألحق اقتصاداتها قسرا بعجلة الاقتصاد الرأسمالي العالمي كنقاط طرفية لمراكز القيادة الاقتصادية في العالم وساعد في ذلك حاجة هذه الأطراف الى المساعدة الخارجية التي يقدمها الغرب لمواجهة أزماتها الاقتصادية الطاحنة ومعضلة التكيف مع المتغيرات الاقتصادية الدولية الجديدة ، لقد وجدت هذه البلدان نفسها فريسة خيارين لا ثالث لهما فأما القبول بالشروط الخارجية للاصلاح الاقتصادي و أما مواجهة العزلة الاقتصادية والانهيار الذي لا طاقة لها بمواجهته، وقد شكل القبول بالشروط الخارجية للمساعدة الاقتصادية فخا كبيرا وقعت به بلدان المنطقة لأنها وبلا شك واجهت نتائج هذا القبول الاخرى والمتمثلة بدفع التكاليف السياسية والأمنية للتحولات الاقتصادية الجارية فيها، فلا يعقل أن يترك الغرب اموله وخططه للربط و للتنمية الاقتصادية الجديدة في المنطقة دون أطر سياسية وأمنية جديدة تحميها.

وهذا هو مغزى الوعد بضم المنطقة جميعها في إطار منطقة تجارة حرة مع الولايات المتحدة خلال عشر سنوات. والمقصود من ذلك أن على كل دولة أن ترتب أمورها الداخلية، وليس عليها أن تخطط أو تلتزم بأي مشاريع تعاون إقليمي عربي فيما بينها. وإنه إذا كان لمثل هذا التعاون أو الاندماج الإقليمي أن يحصل فلن يحصل إلا مع الولايات المتحدة، وعلى أسس لا علاقة لها بأي مفهوم وطني أو قومي عربي أو إسلامي يستبعد

---

[١٨] المصدر نفسه،ص١٢٧.

بشكل أو آخر إسرائيل، ويحدد أهدافا عربية خاصة لا تتفق مع هدف الحفاظ على التوازن الإقليمي الراهن وابتعاد الدول العربية دائرة التبعية للخارج[١٩].

مع اعترافنا بأنه ما من خيارات اخرىكانت متوفرة أمام الجميع للعمل.

ونحن نقول فعلا بأن ما من خيارات اخرى متاحة للعمل لأننا شاهدنا المنطق البديل للرفض وكيف تم التعامل معه بالقوة لأحداث النتيجة ذاتها في أفغانستان ومن بعده العراق وربما سوريا وايران في قادم السنوات ومن بعده جميع النظم الثيوقراطية والعشائرية والفردية في المنطقة، ولا ينفع هنا منطق تفاوضي أو محاولة الرهان على كسب مواقف غربية في أوروبا لأن ما نراه من تباين في المواقف بين الولايات المتحدة وحلفائها حول استخدام خيار القوة لتحقيق التغيير في المنطقة هو ليس خلاف على الطريقة أو الأداة بل على المكاسب التي يرجوها كل منهم في العملية برمتها فأوروبا تعلم يقينا أنها لا تستطيع أن تنجز ما يمكن للقوة الأمريكية أن تنجزه ولكنها تعلم يقينا أيضا حاجة الولايات المتحدة الامريكية لدورها للأسباب التي سبق الأشارة اليها فلا مانع عندئذ من المساومة في الموضوع وتبادل المصالح فيما بينها، وقد نفهم هنا السبب الذي جعل الفرنسيين بالذات أكثر تحمسا لحسم قضية التدخل السوري في لبنان ومن ثم متابعة الضغط على سوريا للقبول والانصياع للضغوط الامريكية كونه يتم في اطار التفاهمات الأمريكية- الأطلسية لتقاسم الأدوار والمصالح في المنطقة والتي طمأنت الفرنسيين على مصالحهم في مناطق النفوذ القديمة في بلاد الشام والبريطانيين على جزء من مصالحهم في العراق وايران مستقبلا الى حد يجعل الكثيرين لا يشكون في أننا ندخل مرحلة يتم فيها اعادة انتاج سايكس بيكو جديدة في المنطقة تعيد مناطق النفوذ القديمة القديمة الى حظيرة التبعية القوى الكبرى التي غادرتها مع موجة الاستقلال التي اجتاحت المنطقة مع مطلع العقد الخامس من القرن الماضي.

والمشكلة الكبرى هي في عجز دول المنطقة عن مواجهة موجة التغيير العاتية التي تجتاحها وعدم توفر متطلبات هذه المواجهة ماديا ومعنويا في حالة تبنيها كخيار نهائي ولم يعد بمقدورها سوى محاولة طرح بديل التغيير من الداخل وليس من الخارج، وذلك عبر اجراء اصلاحات مهمة في البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي لتلبية محددات الضغوط الخارجية للتغيير، ومع ذلك نعتقد بأن ذلك لم يعد يجدي نفعا أمام الاندفاع العارم للتغيير الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في المنطقة.

ومع تقدم العمل بموجب آلية التغيير القسري يعتقد البعض في المنطقة أن بالامكان القيام باصلاحات سريعة لتجاوز مطب القوة الرادعة ،ونحن نعتقد بان ذلك الجهد لا يمكن أن ينال الرضا والقبول الا عندما يتساوى في أثره مع الآثار المترتبة على فعل التغيير بالقوة ومن الخارج وبدون ذلك يبقى منطق التهديد بالعقاب والوقوف في قائمة الدول التي

---

[١٩] د.برهان غليون.السياسة الامريكية الجديدة في الشرق الاوسط،مصدر سبق ذكره.

تنتهك حقوق الانسان مستمرا مهما كانت طبيعة العلاقة التي تربط بين هذه البلدان وبين الغرب والولايات المتحدة الامريكية.

رابعا: الآثار المتوقعة لعملية التغيير الجارية في منطقة الشرق الاوسط:

من الطبيعي أن يكون لكل عمل بمثل هذه الضخامة والامتداد آثاره المباشرة وغير المباشرة والآنية والمستقبلية والسلبية منها والايجابية، وكذلك ما هو متوقع من عملية تغيير الأسس الحاكمة في منطقة الشرق الأوسط سياسيا وأمنيا واقتصاديا واجتماعيا وقبل كل ذلك وبعده في نفس الوقت الاسس الفكرية الموجهة لكل التغييرات الحاصلة في المجالات اعلاه.

وبعملية تقنين مقصودة يمكن أن نجمل هذه الآثار في المظاهر الأتية:

١. لا يمكن الا أن نتوقع ومع استمرار عنصر الشد الخارجي تفاقم حالة الفوضى السياسية والامنية داخل المنطقة وهي فوضى ناجمة عن ثورة الطموحات المحلية الكامنة(عرقية أو دينية أو مذهبية) التي وجدت في الضغط الخارجي فرصا أكيدة للخلاص والتعبير عن الذات خصوصا على المستوى السياسي الأمرالذي يخلق أوضاعا وتوازنات سياسية وأجتماعية جديدة لم تألفها المنطقة من قبل قد تحتاج الى سنوات طويلة وربما دماء غزيرة قبل أن تستقر بوصفها واقعا مسلما به ويحظى بتوافق واجماع وطني حولها.
٢. وستتصاعد وتيرة الصراع أيضا بين القوى السياسية الجديدة ذات الطابع الليبرالي في الغالب وبين القوى الاسلامية والقومية واليسارية التي ترى في الوجود العسكري الدولي في الشرق الأوسط بأنه سيفرز تداعيات خطرة على أمن المنطقة عموما، والدول العربية تحديدا، بما يحدثه من انقسامات بين العرب، وتهديده للأمة العربية، وإحكام قبضته على مواردها (النفطية)، وبما يمكن أن يؤدي إليه من ربط "الأمن القومي" بأمن دول أخرى، والسيطرة على تحديث التسليح العربي، إضافة إلى إضعاف الأمة العربية باستهداف وحصار بعض دولها، وضمان اختلال الموازين العسكرية لصالح إسرائيل.

وتتخذ مثل هذه المقولات –المستندة أساسا على رؤية التيارات القومية– مضامين مختلفة تبعا للتوجهات المرتبطة بها. كما أن لها انعكاسات ثقافية وسياسية وأمنية عديدة، تحمل عادة نوعا من العداء أو التوجس إزاء القوى الغربية عموما، والوجود العسكري الأميركي تحديدا، أما التيارات الدينية فإن تصوراتها بشأن تأثيرات "الوجود الأجنبي" في المنطقة قد تحولت إلى توجهات مسلحة عنيفة ضد الوحدات العسكرية الأميركية، خاصة في الخليج والجزيرة العربية عموما[٢٠].

---

(٢٠) المصدر نفسه.

٢. هذا التحول في السياسة الأميركية سوف يغير معادلات القوة الإقليمية والداخلية، ويتطلب من الولايات المتحدة إعادة النظر في علاقاتها مع القوى السياسية العربية في سبيل بناء تحالفات جديدة.ومن الواضح أن واشنطن أصبحت تبدي اهتماما أكبر بالقوى السياسية والمدنية العربية وتبذل جهودا ملموسة للتقرب منها الآن. إلا أن تجربة المؤتمر الوطني العراقي وما تبع احتلال العراق من سياسات ثم ضعف الموقف الأميركي في فلسطين، كل ذلك يؤثر على قدرة الولايات المتحدة على إيجاد بديل للقوى الإسلامية والقومية واليسارية ويقلل من قدرتها على المناورة الداخلية للتأثير على النظم العربية[٢١].

٣. ان مجموع الخيارات الجديدة يشكل مضمون السياسة الوقائية الأميركية الجديدة في الشرق الأوسط، أي مضمون الرد الإستراتيجي السريع على احتمال انهيار الوضع وتفكك العديد من النظم وسيطرة الأصوليين المعادين لواشنطن على مقاليد الأمور في أكثر من بلد وأكثر من عاصمة.وهو ما أطلق عليه المحللون السياسيون خطة إعادة تشكيل المنطقة، بما تعنيه من إعادة تشكيل المناخ السائد فيها، ومحوره تصفية الإرث الأيديولوجي والتنظيمي والجيوسياسي القومي العربي وفرض تصورات تتفق ومنطق ميزان القوى والعلاقات الدولية التقليدية، سواء ما تعلق بالعلاقات العربية العربية أو العلاقات العربية الإسرائيلية[٢٢].

٤. وفي كل الأحوال وسواء قدر لعملية التغيير هذه ان تتم بالصورة التي رسمت لها أو تدحرجت عن مسارها الى هاوية سحيقة فأن نتائجها لا تبدو مرضية لاحد. لأن نجاح العملية لن يعني سوى نظم مصطنعة ومفروضة تنتظر مستقبلا تصاب به بأمراض من سبقتها لتواجه ذات المصير وما على الشعوب في كل مرة الا أن تتكيف وتقبل بما يقدم لها من الخارج ووفقا لقياسات المرحلة.وفي ذات الوقت، فان فشلها يعني انفلات كل التعارضات التي كممت حتى اليوم، وهي تعارضات خطيرة ليس أقلها البحث عن الهوية ومشكلة بناء الامة – الدولة وطبيعة الحدود السياسية القائمة في المنطقة وهي تعارضات لن تحسم قبل أن تدفع المنطقة وشعوبها ثمن التحول الذي دفعه من سبقها من الشعوب خصوصا في أوروبا لتستقر في تكويناتها الحالية.

---

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) المصدر نفسه.

الخاتمة

لم يعد يذكر الشرق الأوسط الا وتتبادر الى الذهن حقائق متلازمة مع بعضها تشكل الصورة النهائية للمنطقة في مخيلة من يتصورها وهذه الحقائق يمكن اجمالها في الاتي:

أولا: موقعا متفردا في اهميته ،في قلب العالم القديم وعند نقاط التقائه ومعابر اتصاله.

ثانيا: جغرافية واسعة من الخيرات التي تشكل عصب الحياة المعاصرة وفي مقدمتها النفط.

ثالثا: محيط واسع أيضا من الصراعات والحروب المتنوعة الأسباب والدوافع والتي تنتهي دائما من حيث بدأت مخلفة ورائها مزيدا من التخلف والدماروفي مقدمتها الصراع العربي- الاسرائيلي.

رابعا: تزاحم المصالح الدولية فيها الى الحد الذي يجعلها عناصر فاعلة في تقرير واقع ومستقبل المنطقة.

خامسا: محيط واسع من الدكتاتورية ومصادرة الحريات على يد نظم تقليدية اشتقت شرعيتها من موروثات بالية وتفننت في استعباد شعوبها .

سادسا: مجتمعات متخلفة تشكل مصدرا للارهاب الذي يولد في رحم التمرد على البؤس والفقر والتخلف ولا يستطيع التعبير عن نفسه الا بالطريقة البدائية التي تتمثل في العنف وهو ارهاب موجه بالدرجة الاولى لمن تسبب في واقع البؤس هذا وهو الغرب بالدرجة الاولى والنظم التي حظيت بدعمه لسنوات طويلة وللأسباب التي سبق ذكرها، وربما هنا يكمن السبب الحقيقي وراء رفض شعوب المنطقة لادعاءات الغرب بضرورات التغيير والتحديث في المنطقة ونظرتها الى المضمون الحقيقي للعملية الجارية برمتها بوصفها استحقاقات قوى عظمى متغلبة على شعوب مغلوبة على أمرها، وهذا الحال بالذات هو الذي يعطي للمشروع الاسلامي في السلطة مشروعيته.

ان واقع المفارقة هذا بين مزايا المنطقة وواقع حالها هو الذي يجعل من التغيير مطلبا أساسيا يعتبره البعض ذا قيمة تاريخية على أن يجري داخليا و في المستويات كافة وعلى النحو الذي يكفل ولادة جديدة لمجتمعات حية تنتمي الى عصرها وتستطيع ان تقدم رؤيتها الخاصة لمفهو الامن الاقليمي وتطبيقاته. في حين يرى كبار هذا العالم والقوة العظمى الأولى أن واقع الفوضى والاضطراب في المنطقة قد انعكس سلبا عليها هي الاخرى وبالنتيجة فانها تشعر بالمسئولية المباشرة في حمل مهمة التغيير على عاتقها متذرعة بالخوف من سيطرة المتطرفين على المنطقة وبضعف القدرة المحلية على تحقيق التغيير، وهي بذلك تخفي واقعا أستراتيجيا تتطلع الى بنائه في المنطقة بمدخلات فكرية واقتصادية واجتماعية يفضي الى تغييرات سياسية (طوعية أو قسرية) تسمح لها ببناء منظومة أمن شاملة تحفظ لها مصالحا الحيوية التي راكمتها في المنطقة لسنوات طويلة.

وستتشكل مقومات الامن المفترضة من المفردات الأتية:

أولا: نظم سياسية صديقة(حليفة).

ثانيا: نخب سياسية جديدة تعضدها وتمدها بالرموز التي تحتاجها ونقصد بها النخب التي تسمى اليوم بالليبراليين الجدد.

ثالثا: اتفاقيات أمنية تشد أمن المنطقة الى الخارج وتتكامل معه تكاملا عضويا.

رابعا: تحولات اقتصادية أساسية تفضي الى تحقيق الاندماج الكامل في بنية اقتصاد العولمة الذي يتم ادارته والتخطيط له في مراكز الرأسمالية الكونية الجديدة.

خامسا: ترتيبات أمنية تعمل على أخضاع المنطقة الى قيادة صارمة من داخلها تتمثل في اسرائيل التي تعد الأكثر تقدما وقوة وهذا يستلزم بداهة تسوية سلمية للصراع العربي- الاسرائيلي، وهي تسوية تبدو ممكنة اذا ما تحققت المعطيات أعلاه.

ولكن يبقى السؤال قائما حول المدى الذي سيتمكن فيه العامل الخارجي من ضبط ايقاع التغيير في المنطقة وفقا للتراتبية اعلاه. وما هو رد الفعل الداخلي على عملية اعادة التشكيل الخارجية لخارطة المنطقة خصوصا على المستوى الأمني وهو ما يعني بالنسبة لها عقودا اخرى من المعاناة في ظل نظم مصطنعة وقيود على الأداء المنتظر لتحقيق تطلعات شعوب المنطقة في مستقبل زاهر لأجيالها القادمة.

الجداول الملحقة بالبحث

اولا: جدول رقم (١)

القوات المسلحة في الشرق الاوسط الكبير اعتباراً من تموز/يوليو ٢٠٠٤

البلد	السكان	الجيش	البحرية	سلاح الجو	اجمالي القوات المسلحة
البحرين	٧٢٤٠٠٠	٨٥٠٠	١٢٠٠	١٥٠٠	١١٢٠٠
مصر	٧١٩٣١٠٠٠	٣٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣٧٠٠٠٠
ايران	٦٨٩٢٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠	١٨٠٠٠	٥٢٠٠٠	٤٢٠٠٠٠
العراق	٢٥١٧٥٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٣٥٠٠٠[1]
اسرائيل	٦٤٣٣٠٠٠	١٢٥٠٠٠	٨٠٠٠	٣٥٠٠٠	١٦٨٠٠٠
الاردن	٥٤٧٣٠٠٠	٨٥٠٠٠	٥٠٠	١٥٠٠٠	١٠٠٥٠٠
الكويت	٢٥٢١٠٠٠	١١٠٠٠	٢٠٠٠	٢٥٠٠	١٥٥٠٠
لبنان	٣٦٥٣٠٠٠	٧٠٠٠٠	١١٠٠	١٠٠٠	٧٢١٠٠
عمان	٢٨٥١٠٠٠	٢٥٠٠٠	٤٢٠٠٠	٤١٠٠	٧١١٠٠
قطر	٦١٠٠٠٠	٨٥٠٠	١٨٠٠	٢١٠٠	١٢٤٠٠
المملكة العربية السعودية	٢٤٢١٧٠٠٠	٧٥٠٠٠	١٥٥٠٠	١٨٠٠٠	١٠٨٥٠٠
سوريا	١٧٨٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٧٥٠٠	٣٥٠٠٠	٢٤٢٥٠٠
تركيا	٧١٣٢٥٠٠٠	٤٠٢٠٠٠	٥٢٧٥٠	٦٠١٠٠	٥١٤٨٥٠
الامارات العربية المتحدة	٢٩٩٥٠٠٠	٤٤٠٠٠	٢٥٠٠	٤٠٠٠	٥٠٥٠٠
اليمن	٢٠٠١٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	١٧٠٠	٥٠٠٠	٦٦٧٠٠

[1] القوة المطلوبة المقدرة: لا يشمل جهاز الشرطة العراقية

رئيسية تابعة للقوات الجوية في قاعدة المثنى الجوية وقاعدة تيمور الجوية، وتمثل قاعدة مصيرة العسكرية واحدة من أقوى مواقع التمركز العسكري الأميركي- البريطاني في الخليج. ويتمركز في عمان حوالي ٣٠٠٠ عسكري أميركي، وعناصر مختلفة تابعة للقوات الجوية والبحرية.

- الإمارات العربية: تتمتع القوات الأميركية بعناصر مختلفة من التسهيلات العسكرية في عدد من المواقع الإماراتية، كقاعدة الظافرة الجوية بأبو ظبي ومطار الفجيرة الدولي، وعدد من الموانئ البحرية كميناء زايد وميناءي رشيد وجبل علي بدبي وميناء الفجيرة. ويتواجد في الإمارات حوالي ٥٠٠ عسكري أميركي وبعض طائرات الاستطلاع.
- اليمن: تتمتع الوحدات العسكرية الأميركية بتسهيلات مختلفة في اليمن، اتسع نطاقها في إطار الحملة الأميركية ضد الإرهاب لتشمل عناصر مختلفة للدعم والتدريب خاصة بالساحة اليمنية نفسها، لكن التسهيلات العسكرية التقليدية في اليمن كانت تتركز عادة في ميناء عدن ذي الموقع الإستراتيجي، الذي يعتبر محطة رئيسية لخدمات الوقود والصيانة الخاصة بالوحدات البحرية الأميركية، والذي شهد واقعة استهداف المدمرة يو إس إس كول في أكتوبر/تشرينالأول ٢٠٠٠.
- جيبوتي: كانت جيبوتي تقع دائما ضمن "دائرة فرنسا"، حيث تتمركز بقاعدة جيبوتي العسكرية قوة فرنسية كبيرة العدد يصل عددها إلى ٣٩٠٠ جندي، تتألف من قوات تابعة لمشاة البحرية والفرقة الأجنبية، تدعمها مقاتلات ميراج وهليوكبتر مسلح، وتوجد بها مخازن أسلحة ومعدات للطوارئ. لكن القوات البحرية والجوية الأميركية تتمتع بتسهيلات في الموانئ والمطارات بجيبوتي، كما تتمركز عناصر من قوة عمليات القرن الأفريقي في معسكر المنير التابع لفرنسا، أضيفت إليها إلى محطة عسكرية تابعة لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، تتبعها طائرات من دون طيار (بريداتور) تقوم بمهام استطلاعية وقتالية.
- مصر: ترتبط مصر بعلاقات عسكرية قوية متعددة المستويات مع الولايات المتحدة، تتخذ شكل تعاون تسليحي ومساعدات عسكرية وتدريبات مشتركة. وتشمل التسهيلات العسكرية المقدمة إلى الولايات المتحدة في مصر، تسهيلات للقوات البحرية في الموانئ مثل بورسعيد والسويس والغردقة والتي تكتسب أهميتها في ظل المرور المكثف بقناة السويس، وتسهيلات خاصة بعمليات تدريب النجم الساطع الدورية المشتركة التي أصبحت متعددة الأطراف في بعض المواقع العسكرية في الساحل الشمالي. لكن أهم التسهيلات المقدمة للقوات الجوية الأميركية في مصر توجد في قاعدة غرب القاهرة الجوية.
- تركيا: تركيا هي الدولة الوحيدة العضو في حلف شمال الأطلنطي(الناتو)بالشرق الأوسط، وتربطها علاقات عسكرية قوية مع الولايات المتحدة. وتوجد فيها -إضافة إلى تسهيلات عسكرية في معظم الموانئ والمطارات-واحدة من كبرى القواعد العسكرية التابعة للناتو(الولايات المتحدة)في المنطقة،وهي قاعدة إنجيرليك الجوية التي تضم حوالي ١٧٠٠جندي أميركي،وتتمركز بها ٣٦ مقاتلة من طرازات مختلفة، تعمل عادة في إطار مهام مراقبة منطقة الحظر الجوي شمال العراق، ويمكن زيادتها في حالة الحرب بأعداد كبيرة،وتجري في القواعد التركية عمليات توسع عسكرية هامة بتمويل أميركي في الوقت الحالي،بما يمكن من حشد أعداد هائلةمن القوات والمقاتلات وقت الحاجة.
- إسرائيل: تستند العلاقات العسكرية الأميركية- الإسرائيلية على اتفاقات تحالف إستراتيجي متطورة تضمن تعاونا عسكريا معقدا بين الجانبين، توجد في إطاره شبكة تسهيلات عسكرية أميركية في معظم المواقع العسكرية الإسرائيلية، منها ستة مواقع عسكرية، أهمها الموقع ٥١ والموقع ٥٣ والموقع ٥٤، التي يتم فيها تخزين أسلحة معدات طوارئ خاصة بالقوات الجوية والقوات البحرية والقوات الخاصة الأميركية، وهي معدات يمكن أن تستخدمها القوات الإسرائيلية نفسها وقت الحاجة

كما حدث فى حرب أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٣.

ثالثا:القواعد العسكرية الأمريكية في محيط منطقة الشرق الأوسط حتى احتلال العراق ٢٠٠٣.

في هذا الاتجاه، توضح تلك البيانات، أن الوجود العسكري الأميركي تحديدا، يمثل أحد الملامح الأساسية التي تشكل واقع الشرق الأوسط، كعنصر فاعل من عناصر المعادلات الإستراتيجية الحاكمة لتفاعلاته، لكن ذلك لا يوضح الصورة تماما، فهناك طوق من القواعد العسكرية الرئيسية الأميركية (والبريطانية) تحيط بالشرق الأوسط، يمكن توضيحها باختصار في الجدولين التاليين، اللذين يعبران عما كان قائما عادة خلال سنوات التسعينيات وصولا إلى بداية القرن الحالي(١١)

القوات الأميركية الموجودة في المناطق المحيطة بالشرق الأوسط

المكان	الجيش	الأسطول	المارينز	القوات الجوية	الإجمالى
دييجو جارسيا	–	٩٠٠	–	–	٩٠٠
اليونان	٥٠	٢٠٠	–	٦٠٠٠	٨٥٠
إيطاليا	٣٥٠٠	٦٠٠٠	–	٣٤٠٠	١٢٩٠٠
البرتغال	–	٤١٠	–	٢٢٠٠	٢٦١٠
إسبانيا	–	٣٤٠٠	–	٥٠٠	٣٩٠٠

الوجود العسكري البريطاني في المناطق المحيطة بالشرق الأوسط

المكان	أفراد	وحدات مقاتلة	وحدات معاونة	طائرة	أسطول
قبرص	٤١٠٠	٢ كتيبة مشاة	-سرية استطلاع -سرية مهندسين	-مفرزة تورنادو -طائرات خفيفة	زورقا مرور
دييجو جارسيا	٠٠٠	مفرزة مارينز	–	–	فريق بحري
جبل طارق	١٢٠٠	-فوج جبل طارق -مفرزة مارينز	_	مفرزة جاغوار	-زورقان -قاذفا صواريخ

وتأتي أهمية القواعد العسكرية الأميركية المحيطة بالمنطقة مثل دييجو جارسيا، وقواعد شمال المتوسط، وحتى بريطانيا، مما تمثله من دعم قريب للعمليات العسكرية في الشرق الأوسط، إضافة إلى أنها تمثل القواعد الرئيسية لانطلاق القاذفات الأميركية الثقيلة من طراز بي ٥٢ في اتجاه مسرح عمليات الشرق الأوسط، على الرغم مما يبدو من أن التطويرات التي تم إدخالها على ممرات الإقلاع في بعض القواعد العسكرية الأميركية داخل المنطقة أصبحت تتيح القيام بذلك من داخل الإقليم.

المصدر:د.محمد عبد السلام،مشكلات الوجود العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط.

.http://www.aljazeera.net/NR/exeres/44F524F4